غير أن العاطفية تكتسب صيغة الاحتجاج الاجتماعي الحاد في النصف الثاني من القرن الثامن عشر في فرنسا التي كانت على حافة الثورة البرجوازية . ولنا في أعمال روسو خير مثال على ذلك .

تعكس أعمال روسو احتجاج « الفئة الثالثة » ضد الاقطاعيين وقوانين الحياة التي وضعوها ، ونحن نعرف جيدا قول روسو في « عقده الاجتماعي » : « يولد الانسان حرا ولكنه مع ذلك يرسف في القيود في كل مكان » . ان روسو يخوض النضال ضد نمط الحياة الاقطاعية المنهار من مواقع حرية الانسان التي يؤكدها .

ففي رواية « لويز الجديدة » يدافع الكاتب عن حق كل انسان في مكانه في الحياة وعن حقه في السعادة . ان روسو لم يكن محللا اجتماعيا دقيقا . انه يتحدث عن الانسان عن الانسان اللاطبقي الذي يشكل حقه في السعادة من وجهة نظر روسو قانونا من قوانين الطبيعة . ولكن روسو خلاف ريتشاردسون ، يضمن روايته نقدا حادا موجها الى اخلاق الارستقراطيين والى نمط الحياة الاقطاعي والى الأوهام الطبقية . ان تصوير اصطدام المحبين يولا الارستقراطية وسين — برى المعلم الفقير بمفاهيم الطبقة السائدة وآرائها يتحول في (لويز الجديدة) الى هجوم شديد على كذب مدنية النبلاء وزيفها .

ولكن تصور روسو المجرد عن الانسان والمجتمع يحرم مؤلفاته التحديد الاجتماعي ويقوده الى فكرة خاطئة مفادها أن المدنية جنازة بمجملها .

أما في روسيا فقد كانت أهمية العاطفية التي نشأت في أواخر القرن الثامن عشر أقل من أهمية نظيراتها في أوروبا الغربية . ففي حين كانت العاطفية اتجاها أدبيا مؤثرا جدا في الأدب الغربي الطليعي في النصف الثاني من القرن الثامن عشر ، كانت هذه المدرسة الأدبية في روسيا لاتمثل سوى فرع من فروع الأدب تقابله اتجاهات المنورين الروس فون فيزين وراديشيف وكريلوف الذين مهدوا سبيل نشوء الواقعية النقدية في هذه البلاد . وكان السبب في نشوء تربة لتطور الاتجاه النقدي في الأدب الروسي في أواخر القرن الثامن الثامن عشر ، حركة التحرر الفلاحية التي كانت ثورة بوغاتشوف ابرز مظاهرها .

غير أن المدرسة العاطفية لعبت دورا تقدميا بعض الشيء في تاريخ الأدب الروسي وقد برز ذلك عند الكتاب العاطفيين الروس في اهتمامهم المتزايد بحياة الانسان الداخلية وشعبية مواضيع أعمالهم الفنية وابطالها ولغتها .